جميلة مفتاح الجنزوري عزيزة سليمان أقجام، المجلد3، العدد1، يناير 2020، ص ص: 125-156

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

استيطان بني سليم لبرقة

وتـأثيرهم السياسي والاقتصادي والثقافي

The Beni Selim settlement in Barka and thier political, economic and cultural influence

الدكتورة جميلة مفتاح الجنزوري، جامعة بن غازي، ليبيا

jamelaragp@gmail.com

الأستاذة عزيزة سليمان أقجام، جامعة بن غازي، ليبيا

تاريخ الإرسال: 2019/10/05 تاريخ القبول: 2020/01/21 تاريخ النشر: 2020/01/31

الملخص:

حفل تاريخ المغرب الإسلامي بالكثير من الأحداث المهمة التي كان لها طابعها الخاص، فأثرت على تاريخه وغيرت معالمه السياسية والاقتصادية و الاجتماعية والثقافية والمذهبية، فهجرة بني سليم التي حدثت في القرن الخامس الهجري و منتصف القرن الحادي عشر الميلادي من أبرز الأحداث التي غيرت معالم شمال أفريقيا، حيث كانت أراضيها مسرحاً لها، فبدأت أحداثها عندما حاولت دولة بني زيزي الاستقلال والخروج عن طاعة الخلافة الفاطمية في مصر، وإعلان انضمامها للعباسيين في بغداد، وبعد أن عجزت الخلافة الفاطمية عن إخضاع هذه الدولة بإرسال جيوشها للقضاء عليها لم تجد سبيلاً لذلك إلا بإطلاق العنان لقبائل بني سليم و هلال التي تم إغراؤها من قبل الفاطميين توجيهها للمغرب الإسلامي؛ لتأديب المعز بن باديس والقضاء على دولته الناشئة التي جهرت بعدائها للفاطميين ومذهبهم الديني.

وقد كان لتلك الهجرة نتائج مهمة وخطيرة بعضها كان سريع الأثر والبعض الآخر على المدى الطويل، ولعبت هذه القبائل دوراً كبيراً في تاريخ المغرب الإسلامي عامةً وتاريخ برقة خاصةً،

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

حيث عملت على تعريب المنطقة ورسخت اللغة العربية بين سكانها مما أثر على اللهجات المحلية، كما أذابت العديد من الفوارق بين سكانها، وعملت على سيادة العنصر العربي في برقة، وصبغت المنطقة بالطابع العربي فامتزجوا مع سكان برقة مما أحدث تغيراً في النسيج الاجتماعي فيها، وفي الوقت نفسه كانت هذه الهجرة سبباً في انقسام المغرب الإسلامي سياسياً . ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على هجرة بني سليم لبرقة، والدور الذي لعبته تلك الهجرة في استيطان أعداد كبيرة من العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية، وسوف نحاول هنا أن نطرح بعض التساؤلات التي تحتاج إلى إجابات علمية وموضوعية وستكون هي محاور هذا البحث، وهي كالآتي: ما هي أصول قبائل بني سليم وما فروعها؟ ما هي الأسباب والدوافع التي كانت وراء هجرة تلك القبائل؟ وهل كان لاستيطانها أي أثر اجتماعي وسياسي وثقافي واقتصادي في برقة. وستكون الإجابة على هذه التساؤلات هي موضوع ورقتنا البحثية التي نحاول فيها توضيح دور هذه القبائل و تأثيرها على تاريخ برقة الإسلامي.

الكلمات الافتتاحية: الاستيطان - بني سليم – برقة -الهجرة – والتأثير الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

Summary:

the migrations to the Maghrib have brough about an important and serious results, which made social changes in the the region, and at the same time this migration was caused a political differences .This research aims to highlight migration of the Beni Salim to Cyrenaica from the Arabian peninsula . I attempt here to answer some questions:

Who are the Beni Salim ? what causes their migration to the Maghrib? What are the political implications of the Beni Salim settlement special ? .

Keywords: Settlement - Beni Salim - cyrenaica - expatriation- cultural, economic and social.

برقة اسم يطلق على شرق ليبيا الذي كانت تسكنه قبيلة لواته عند الفتح الإسلامي، ولواته ترجع اصولها إلى قبيلة حمير من اليمن التي هاجرت قديماً إلى المغرب، وبعد الفتح الإسلامي

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

شكلت برقة محطة للجيوش العربية الإسلامية والمسافرين للمغرب العربي والأندلس، حيث استقرت بها بعض القبائل العربية مثل القبائل اليمنية (عك ومهر وخولان ولخم والمعافر) وقبائل الانصار مثل (كندة والأزد وجذام جهينة ومهرة وعنت) وغيرها، ولكن هذا الاستقرار لم يكن ذا اهمية على الصعيد الاجتماعي والسياسي، وبقى النفوذ في برقة لقبيلة لواته حتى دخول قبائل بني سليم التي غيرت معالم هذه المنطقة وصبغتها بالطابع العربي، فعملت على تعريب سكان المنطقة وأثرت على لهجاتهم المحلية، وعملت على سيادة العنصر العربي بالشمال الإفريقي، فامتزج سكانها مع الوافدين الجدد مما أحدث تغيراً في النسيج الاجتماعي فيها، وفي الوقت نفسه كانت هذه الهجرة سبباً في انقسام المغرب الإسلامي سياسياً، حيث انقسم إلى دويلات مستقلة. وستكون هذه القبيلة محط دراستنا في هذه الورقة البحثية.

أصول قبائل بني سليم وفروعهم:

تعد قبائل بني سليم من أشهر القبائل العربية التي قطنت شبه الجزيرة العربية منذ القدم حيث تمتعت تلك القبائل بمكانة سياسية واجتماعية مرموقة فهي من اقوى القبائل المرهوبة الجانب والمشهورة بفروسية ابنائها، ويقول عنهم القلقشندي: "هم أكثر قبائل قيس وفيهم الأبطال والأنجاد والخيل والجياد " [1].

وقد خاضوا في الجاهلية العديد من الحروب منها: حرب الفُجار مع قريش وبنو قيس، كما دخلوا في صراع مع النعمان بن المنذر ملك الحيرة وانتصروا عليه، وهزموا في حرب يوم البزره على يد كنانه، ثم اشتركوا في حرب يوم سمطه مع بني القيس وهزموا فيها كنانه [2].

وتعد قبائل بني سليم وهلال من القبائل العربية العدنانية، حيث ينحدر اصلهم إلى مضر وينتسبون إلى قيس عيلان، وتجتمع في نسبها مع قبائل بني هلال في جدهم منصور بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر، وقد شملت قبائل بني هلال و سليم بطوناً من هوزان وعكرمة، ودخل بنو هلال في صراع مع بني سليم استمر سنوات طويلة حول مصادر قوتهم، إلا أنه في القرن السابع الميلادي كانوا يسكنون مع أقاربهم بنى سليم قرب الطائف، وقد نزحوا معهم فيما بعد سنة 443هـ / 1051 م إلى شمال أفريقيا [3] .

1 - أبو العباس أحمد القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة، 1959م) ص 295.
2 - عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت، 1987م)، ص549.
3 - أبو محمد علي بن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف (مصر، 1962م)، ص206

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وتعددت بطون بني سليم وعشائرهم وكلهم ينتسبون إلى أبناء بهئه ابن سليم، وذكر ابن حزم في كتابه معظم بطون هذه القبائل التي تنتسب إلى معاوية وثعلبه وعوف والحارث بن بهئه وبنو ذكوان ابن رفاعه بن الحارث، وامرؤ القيس بن بهئه وبنو رعل وبنو بهز [4].

وهناك بعض البطون والعشائر التي لم يذكرها ابن حزم بل ذكرها الطبري وابن الاثير وهي: بنو شيبان وبنو شريد بن رباح، وبنو سماك، وبنو مطرود، وبنو القنفذ، وبنو سليمان بن ذباب، وبنو الأزرق بن عوف بن خفاف والبسسه بطن من وديعة، وحريز بن تميم بن عمر، وبنو عبس بن رفاعه ابن الحارث بن بهئه، وبنو عميره بن خفاف بن أمرؤ القيس، وبنو قتبه [5]

وكانت منازل بني سليم في الجاهلية بعالية نجد بالقرب من خيبر، ومن منازلهم حرة سليم، حرة النار بين وادي القرى وتيماء[6] ثم ارتحلوا من نجد، فاتخذ بني سليم منازلهم بعد المدينة واشتهرت ديارهم بالأرضي الخصبة وكثرة المياه، كما اشتهرت جبلها بكثرة ما فيها من عسل، حيث تمتعوا بالرخاء وسعة العيش بما تغله عليهم الزراعة والتجارة من أموال، و كانوا يشتركون في رحلتي الشتاء والصيف وهيمنوا على طرق التجارية مع الشام والعراق التي تمر بهم[7]، فكونوا علاقات تجارية قوية مع قريش بمكة وتعدت هذه العلاقة الصلات المادية إلى المصاهرة، كما كان لهم علاقة تجارية طيبة مع يهود يثرب [8].

وعندما ظهر الاسلام وانتشاره في شبه الجزيرة العربية قاومته بني سليم فترة من الوقت لإرضاء قريش، ولكن ذلك لم يمنع بعض رجال تلك القبيلة من الدخول في الاسلام في فترة مبكرة، فكان منهم نعمان بن عمرو بن النعمان من بني بهز بن امرؤ القيس بن بهئه بن سليم، هو صاحب راية المسلمين يوم أحد [9]، كما أن الرسول ﷺ قد غزاهم أكثر من مرة إلا أن الإسلام قد عرف طريقه إلى قلوبهم بعد صلح الحديبية وانتصار المسلمين في خيبر سنة 7هـ / 628م،

4 - سلطان طريخم المذهن السرحاني: جامع أنساب قبائل العرب د.ن (د.م، د.ت)، ص 80 .
5 - ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2، دار الكتب العلمية (بيروت، 1995م) ص 254
6 - القلقشندي: المصدر السابق، ص 295.
7 - تقي الدين المقريزي: أتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الشيال، ج2 (القاهرة، 1967م) ص215 .
8 - جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2، ج5، نشره جامعة بغداد (العراق، 1993م) ص 519 .
9 - القلقشندي: المصدر السابق، ص 183.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

واشترك بني سليم في فتح مكة وقد بلغ عددهم 700 مقاتل، كما اشتركوا في غزوة حنين في سنة 8هـ / 629م [10]

ولما توفي الرسول ﷺ شارك بني سليم في حروب الرد فانقسمت هذه القبائل على نفسها فبعضها ثبت على الاسلام والبعض الأخرى ارتد عنه، واشتعلت الحرب بين الطرفين وانتهت بعودة من خرج عن الاسلام إلى الجماعة، ثم كان لهم مشاركتهم في الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية حيث استقر الكثير منهم في الكوفة والبصرة وخراسان والشام وديار بكر والرها وحران والمغرب والاندلس، كما شاركوا في العديد من الثورات التي قامت ضد الدولة الاسلامية منذ عهد الخليفة علي بن ابي طالب واشتركوا في موقعة الجمل في سنة 36هـ / 656 م، وانضموا إلي ثورة عبدالله بن الزبير ضد بني أمية [11].

ولم يدخل بني سليم مصر الا في سنة (109هـ / 727م) في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك عندما عين عبدالله بن الحبحاب على خراج مصر حيث طلب من الخليفة أن يستقدم بعض القيسيين إلى مصر خاصاً بعض أن لحظة في مصر كور مثل بلبيس قليلة السكان، فأذن الخليفة بذلك فبعث للبادية وقدم إليه بيتاً من أهل مُضر وبيت من سليم فانزلهم ببلبيس، واشتغلوا بالزراعة ونقل البضائع فأزداد عددهم في مصر حتي بلغ في نهاية الخلافة الاموية ثلاثة الاف [12].

أما في عهد الدولة العباسية فقد انضم بني سليم إلى بعض الثورات التي قامت ضد العباسيين ومنها ثورة محمد بن عبدالله (النفس الزكية) وأعلنوا العداء للخلافة العباسية، ومن هنا بدأت تسوى العلاقات بين بني سليم والخلافة العباسية حتي انتهى الامر بخروجهم عليها، وعمدوا على إشعال الفوضى واثارت القلاقل والاضطرابات في الدولة، فقامت جماعات منهم برحلات إلى العراق والشام للنهب والإغارة، كما كانوا يتعرضون لقوافل الحجاج بمكة والمدينة ويغيرون على أسواقها، مما اضطر الخليفة العباسية الواثق بالله إرسال القائد بغا الكبير سنة

10 - ابن حزم، المصدر السابق، ص 264.
11 - ابن الاثير، المصدر السابق، ج 3 / 350، 241.
12 - تقي الدين المقريزي، البيان و الأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين، عالم الكتب (القاهرة، 1987م)، ص 65. 66.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

231هـ /845م . لتأديبهم وبرغم من ذلك عجزت الدولة العباسية عن قمعهم والتخلص منهم في ذلك الوقت [13] .

ولما سيطر الموالي على الخلافة العباسية وظهر القرامطة انضم اليهم بنو سليم ضمن من انضم من بنو ربيعة وبنو عامر فحالفهم بنو هلال وسليم وانتقلوا إلى جوارهم بالبحرين وعمان، صاروا جنداً لهم وقدموا معهم إلى الشام، وكان هناك بنو ثعلب وبنو عقل من أعظم قبائل البحرين، حيث دخلوا معهم في مناوشات وحينما سيطر القرامطة على بلاد الشام ناصروهم واستقروا معهم، وعندما قضى الخليفة الفاطمي العزيز بالله على القرامطة (365-368هـ / 975-978م) انتزع منهم الشام وفلسطين وطردهم إلى البحرين، وقام بترحيل أنصارهم الهلاليين والسليميين إلى صعيد مصر بالعدوة الشرقية من النيل فاستقروا هناك ولكنهم كانوا يثيرون القلاقل، وثم حرك المستنصر هذه القبائل للبطش بالمعز بن باديس ونسف دعائم ملكه خاصةً بعد أن أعلن المعز الاستقلال والانفصال عن الفاطميين سنة 440هـ / 1048م، وكان الهدف من ترحيلهم هو التخلص منهم وإبعادهم عن ساحة الخلافة الفاطمية والتقليل من خطرهم باعتبارهم شوكة في خاصرتها [14].

الأسباب ودوافع التي كانت وراء هجرة بني سليم إلى برقة :

اتفق العديد من المؤرخين العرب على أن العامل المباشر الذي أدى إلى هجرة بني سليم من نهر النيل في الصعيد المصري إلى شمال أفريقيا غرباً والاستعانة بهم هو سخط الدولة الفاطمية على المعز بن باديس حيث قاطع الدعوة الفاطمية وتحول بها للعباسيين وأعلن ولائه لهم، وخرج عن طاعتهم مستغلاً انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة وبعده عن المغرب، ولعل الدولة الفاطمية تهدف من وراء تشجيع تلك الهجرة تحقيق غرضين هما: التخلص من بني هلال وسليم في الصعيد المصري الذين عاثوا في شرق النيل فساداً، واستخدمهم كأداة لانهاك الدولة الصنهاجية وجعلهم شوكة في خاصرتهم وضربهم بها [15].

كما أن ضعف الولاة الفاطميين في أقليم برقة خلال القرن الخامس الهجري أدي إلى انتشار الفوضى داخل الاقليم وعدم استقرار الأوضاع به، مما شجع قبائل بني قرة على إثارة القلاقل

13 - الطبري، المصدر السابق، ج7 / 581 .

14 - محمد رجب الزائدي، قبائل العرب في ليبيا، ج1، منشورات الكتاب الليبي، (بنغازي، 1968م)، ص57-58

15 - إحسان عباس: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، ، ط1، دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي، 1967م)، ص 141.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

داخل الإقليم الأمر الذي أدى إلى تأزم الأوضاع السياسي وطرد أغلب الولاة الفاطميين منه، وهذا الوضع دفع الخليفة الفاطمي في التفكير في إيجاد حل لتلك المشكلة باستجلاب قبائل بني سليم للانتقام من أهل برقة عن طريق إدخال عناصر جديد عليهم لتأثير في تركيبتهم السكانية [16].

وفي سنة (443- 444 هـ / 1051م - 1052م) قامت الخلافة العباسية بتعين محمد بن جعفر منصب قاضي القضاة في مصر، و تصادف في هذه السنة دخول بني سليم وهلال إلي أفريقيا، حيث وصلت إلى القيروان مكاتبة من الأمير جبارة بن مختار العربي يعلمه فيه بمبايعة أهل برقة للمعز بن باديس، وإحراقهم للمنابر التي يدعى فيها للفاطميين، كما أسقطوا راياتهم ولعنوهم على منابرهم، ودعوا للقائم بأمر الله العباسي [17]، وكان رد فعل الخليفة الفاطمي على مبايعة أهل برقة للمعز بن باديس أن أمعن الخليفة الفاطمي في إغراء قبائل بني سليم على الهجرة وذلك بدفع جوائز كبيرة، لزُعمائهم وأعطى كل واحدٍ من عامتهم بعيراً ودیناراً [18]

ومن خلال هذا العرض يظهر الخلاف المذهبي واضح بين هذه القبائل والدولة الفاطمية، حيث تعرضوا إلى المضايقة والاضطهاد المذهبي من قبل الفاطميين أثناء تواجدهم في مصر مما اجبرهم على الهجرة، ولكن هذا الخلاف المذهبي لم يكن عائقاً أمام تحقيق مصالحهم عند اتصالهم بالقرامطة الشيعة فساندوهم ضد الدولة العباسية ولعل الهدف من وراء ذلك الوصول إلى السلطة و المكانة الاجتماعية المرموقة أو الحصول على مكاسب مادية، و في نفس الوقت كان للخلاف المذهبي القائم بين الدولة الفاطمية والدولة الصنهاجية تأثيراً ايجابياً قوياً على هجرة بني سليم إلى برقة حيث استغلوا هذا الخلاف لتحقيق أهدافهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وربما هناك أسباب أخرى دفعت هذه القبائل للنزوح تعود لرغبتها في الهجرة والتوسع فقد كان لهم فروعاً تقطن شمال افريقيا جاءت إليها مع الفتوحات الإسلامية الأولي، حيث كانت هذه

16 - عبدالفتاح رجب بولبيض: تاريخ برقة الإسلامي في فترة من القرن الخامس حتي الربع الاول من القرن العاشر الهجري من 400.925هـ، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين، (طرابلس، 2009م) ص 118.

17 - الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، ج1، دار الغرب الاسلامي (بيروت، 1992م) ص 242.

18 - ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثقافة (بيروت، 1983م)ص377.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

المنطقة موطئ قدم للقبائل العربية (العدنانية والقحطانية) مما شجع أبناء عمومتهم من بني هلال وسليم للهجرة إليهم فوجدوا كل الترحيب منهم [19]

وهكذا نجح الخليفة الفاطمي في استقطاب تلك القبائل وتشجعيهم على الهجرة حيث تحركت تلك القبائل إلى برقة في القرن الخامس الهجري ومنتصف القرن الحادي عشر الميلادي فنزلت قبائل بني سليم برقة ودخلت أمصارها واستقر بعضهم بها وكانت من أهمها قبيلة (لهب – ورواحة –وناصرة –وعمرة) وسارت كلا من: عوف، دباب، وزغب وجميع بطون هلال إلى أفريقيا حيث دخلوا القيروان وخربوها واقتسموها بين بطونهم سنة 443هـ / 1051 م [20] .

ومما سبق يمكننا القول من خلال وجهة نظرنا أن القطيعة المذهبية لم تكن السبب المباشر للهجرة إلى برقة رغم تكرر هذا السبب عند أغلب المؤرخين المعاصرين لهم مثل ابن خلدون وابن الأثير ولعل هناك أسباباً أخرى دفعتهم إلى ذلك ويمكن أن نلخص تلك الأسباب في بعض النقاط:

ـ ظهور الأزمات والاضطرابات الاقتصادية في مصر والتي عجز الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (487-527هـ 1094-1035م) على ايجاد حل لها لذا أراد الخليفة التخلص من الأعباء المترتبة على إقامة تلك القبائل فيها والتي اثارت الفوضى بسبب قلة المراعي في شرق النيل والجفاف والمجاعة التي اجتاحت البلاد، التي شكلت تهديداً لوجودهم ولمصدر رزقهم ومواشيهم بحكم طبعهم الرعوي، فقام الفاطميين بإغرائهم على التوجه نحو غرب مصر .

- ضعف السلطة الفاطمية على برقة حيث تقلص حكم الولاة وظهر نفوذ شيوخ القبائل وبرزت العصبية القبلية، ويظهر هذا واضحاً في الاتفاق الذي تم بين قبائل بني هلال وسليم في تحديد أماكن استيطانهم، فكانت برقة من نصيب بني سليم وطرابلس من نصيب بني هلال، وانضمت قبائل بني قرة إلى ابناء عمومتهم الهلاليين وهاجرت معهم إلى اقليم طرابلس، وتركوا برقة لبني سليم .

- عدم قدرة بني سليم على تكوين الكيانات السياسية جعلهم يبتعدون عن مركز السلطة الفاطمية ولكنهم استطاعوا الهيمنة على القبائل العربية التي سبقتهم إلى برقة منذ عصر الفتح و أدى هذا إلى سيادة العنصر العربية الذي كان موجوداً في برقة .

19 - صالح مصطفي المزيني: ليبيا منذ الفتح العربي حتي انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ط2، منشورات جامعة قاريونس، (بنغازي، 1994م) ص 185 .190.

20 - إحسان عباس: المرجع السابق، ص 142.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

ومن الواضح إن هجرة بني سليم كانت على دفعتين: **الأولى** كانت غايتها الغزو والقضاء على زعامة بني قره وبني خزرون وهي التي دمرت القيروان ودقت أبواب تونس وحطمت دولة المعز بن باديس [21].

الثانية: قام بها أخوان المهاجرين الأوائل بعدما رأوا ما أحرزه المهاجرين من غنائم شجعتهم وحفزتهم على الهجرة. [22]

ولم تهاجر قبائل بني سليم وحدها بل هاجرت معها قبائل بني الهلال فاستقرت الأولى في برقة والثانية في طرابلس، ويرجع أصل هذه القبائل إلى نسب واحد ويصعب الفصل بينهم حيث دخلت الأراضي الليبية في وقت واحدٍ تقريباً، فضلا على أن قرار التحول إلى الغرب واستقرار الآخر في إقليم برقة لم يستغرق وقتاً كبيراً، فابن خلدون يشير إلى أنه بفضل تقارعهما حصلت ((لسليم الشرق ولهلال الغرب.....وأقامت لهب من سليم وأحلافهما رواحة وناصرة وعمرة بأرض برقة)) .[23]

وهنا سؤال يطرح نفسه لماذا غلبت اسم الغزوة الهلالية واسم بني هلال على هذه القبائل التي اتجهت غرباً رغم مشاركة بني سليم لهم ؟، وهم لم يكونوا أقل منهم شأناً ولا عدداً ولا صيتاً رغم مشاركة قبائل أخرى مضريه ويمانية وقحطانية لهم، ولعل قول ابن خلدون إن أكثر القبائل العربية انطوت تحت جناح قبيلة بني هلال، وإن زعامة كانت لها كما ذهب البعض في رأيه إن هناك عامل الشهرة هو ما جعل بن هلال يورد ذكرهم في اغلب الكتب التي وصلتنا، إلى جانب ان اسم بن هلال سهل التداول على الالسن هذا ما جعلها اكثر شهرة فطلقوا اسمهم على السيرة الهلالية .

مواطن استيطان بنو سليم في برقة:

وقبل أن نمضي في تتبع تحركات هذه القبائل العربية ومواطن استقرارها في برقة لابد أن نتساءل عن أعدادها حيث لم يذكر المؤرخين إعدادها بشيء من الدقة ولكنهم جميعاً وصفوها بالكثرة، وتضاربت الآراء حول تحديد العدد بين المؤرخين مما جعل من الصعب تحديدها بدقة، حيث يرى البعض إن عددها كان مائتي ألف بينما يرى آخرون إن عددها كان حوالي

21 - عز الدين عمر أحمد موسي: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، دار الشروق (بيروت، 1983) ص 16.
22 - رجب الزائدي: المرجع السابق، ص 59.
23 - محمود أحمد أبو صوة: جدلية المجال والهوية مدخل لتاريخ ليبيا العام، ط1، دار الرواد، (طرابلس، 2013م)، ص358.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

المليون [24]، وقد ذكر الطاهر الزاوي في كتابه أن عدد القبائل التي رحلت من صعيد مصر سنة 442هـ /1050 م ودخلت برقة كانت أربعمائة ألف[25] وجاء في تغريبة بني هلال أن عددهم كان أربع وتسعين ألفاً [26]

ويمكن القول إن تلك الهجرة كانت عبارة عن طوفان بشري على شكل موجات متتالية جاءت في فترات متعاقبة ادت إلى عدم استقرار هذه القبائل وتنقلها من مكان إلى أخر، مما جعل من الصعب تحديد عددها بدقة، كما إن عدم الفصل بين قبائل بني سليم وهلال في تغريبة الهلالية جعل من صعب تحديد عدد كل منها على حدا.

وعندما وصل بني سليم إلى بعض أنحاء برقة وجدوها خالية من السكان لأن المعز بن باديس كان قد أباد أهلها من الزناتة بعد دخلوه في حربٍ معه، فاستقروا فيها وأقاموا هناك فترة من الزمن ثم بدأت تتوافد باقي بطون بني سليم على برقة فهم لم يظهروا العداء إلى بن باديس عند مجيئهم بل حاول ابن باديس أن يستقطبهم ويتخذهم جنداً له، الا أن موقفه حيال زعيمهم مؤنس بن يحي الذي قبض عليه وسجنه، جعل تلك القبائل تجهر بالعداوة له وتحاصره في المهدية وتدخل معه في معارك لقنته فيها هزائم كثيرة اسقطت بحكمه. [27]

ومن أهم بطون بني سليم التي هجرت إلى برقة واستوطنت فيها و كانت اكثرها عدداً وشهرة ما يلي:

- **قبيلة بنو هيب بن بهن بن سليم** التي نزلت في برقة من حدودها الغربية عند سرت حتى العقبة الصغيرة من جهة الإسكندرية حتى بئر سدرة قرب سرت، فسكن بنو أحمد منهم أراضي أجدابيا وجهاتها وهم يرجعون إلى شماخ وكانوا أفضل بني هيب حالاً لكونهم استوطنوا المناطق الخصبة من برقة مثل: درنة والمرج وطلميثة واجدابيا، وهم ينقسمون إلى ثلاثة فروع: **بنو أحمد** ويحتمل أن يكونوا أصلاً للجوازي، و **بنو محارب** ويقيمون إلى الشرق من الفرع السابق، ويرجح أن يكونوا هم الحرابي المعاصرين الذين تنضوى تحت اسمهم القبائل الخمس وهي: الدرساء والعبيدات والحاسة وأولاد أحمد والفائد، **وبنو شماخ** هم مقيمون في المنطقة الوسطى من المرج

24 - عبداللطيف محمود البرغوثي: تاريخ ليبيا الاسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، دار صادر، (بيروت، 1971م)، ص335

25 - الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، دار المدار الإسلامي (بيروت، 2004م) ص 227.

26 - عبد الطيف البرغوثي: المرجع السابق، ص 335 .

27 - رجب الزائدي: المرجع السابق، ص76.77.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

حتي طلميثة ويعرفون حالياً بقبائل المغاربة [28]، ونزلوا إلى الشرق منهم جماعات من رواحة وفزارة وهم أهل إبل وأغنام والزعامة فيهما لبني عزاز [29].

- **قبيلة لبيد من سليم**: تشكل هذه القبيلة بطناً عظيماً من بطون سليم ومن أهم أفخاذها: أولاد حرام، أولاد سلام، البركات، البشرة، البلابيس، الجواشنة، الحداددة، الحوتة، الدروع، الرقيعات، الزرازير، السوالم، الشراعبة، الصريرات، العواكلة، العلاونة، الموالك، الرواشد، والشبلة[30].

وقد ذكر القلقشندي في كتابه نهاية الأرب إن بعض القبائل اليمنية القحطانية قد انتسبت لقبيلة بن لبيد وهي :الموالك، النبلة، الندوة، النوافلة، أما بقية أفخاذ قبيلة لبيد فهي من العرب العدنانية، وقد سكنت قبيلة لبيد بجميع بطونها في منطقة برقة إلى جوار قبيلة هيب. [31]

– قبيلة **دباب بن مالك من سليم**: وهي قبيلة ذات بطون كثيرة جداً نزلت في برقة ثم ارتحلت إلى طرابلس، وقد سكنوا طرابلس وما إليها مثل تاجوراء، وزواغة، وجنزور والمحاميد وابرز بطونها قبيلة بنو وشاح بن عامر وهم بطنان كبيرين وهما المحاميد استوطنوا الأراضي ما بين قابس وبئر السدرة من برقة بما في ذلك جبل نفوسة وضواحيها إلى جوار هيب ومنهم ايضا بنو سليمان بن دباب في جهة فزان وودان وغريان وبنو سالم في مصراته إلى مسلاته والعلاونة بجوار العز من عرب برقة، ومن أولاد وشاح بطنان أخران صغيران من مندرجان مع الجواري والمحاميد وهما الجواوبة بنو جواب ابن وشاح والعمور بنو عمور بن وشاح. الجواري موطنهم طرابلس وما يليها مثل تاجوراء وجنزور. ومنهم أيضا بنو سليمان ابن دباب في جهة فزان وودان وغريان[32].

– **قبيلة بني جعفر**، سكنوا برقة وكانوا ينتسبون إلى بني كعب تارة وإلى فزارة تارة أخرى سكنوا موطن قبيلة كعب، ويقول بعض النسابون إنهم من مصراتة وهم من بطون هوارة. وبطون جماعة جعفر بن عمر هي: المثانية، الياسة، عرعرة، الغطة، العكمة، المزايل، العزة، البداري،

28 - هنريكودي أغسطيني: سكان ليبيا، ت خليفة محمد التليسي، ج2، الدار العربية للكتاب (طرابلس، 1990م) ص28- 29.
29 - إحسان عباس: المرجع السابق، ص 143.
30 - عبد الطيف البرغوثي: المرجع السابق، ص341.
31 - القلقشندي: المصدر السابق، ص 116، 161.
32 - المقريزي: البيان والاعراب، ص 71 - 72 ؛ محمد الزائدي: المرجع السابق، ص 67 – 68.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

السهاونة، الجلدة، وأولاد أحمد، وكانت منازلهم من سوسة شرقا إلى بئر سدرة قرب سرت غرباً. ومنهم أيضا بنو سليمان أبن دباب في جهة فزان وودان وغريان .[33]

– وإلى الجنوب من مواطن هذه البطون قبائل **ناصرة وعميرة** وهم من بني سليم سكنوا المنطقة الواقعة من قصر العطش و قافز وطلميثة ويجاورهم قبائل بربرية مستعربة يقال لها مزاتة، وزيبانة .[34]

– قبيلة **صبيح** من فزارة من العرب العدنانية، ومنهم الجماعات الشعوب، الشنفة، العقيبات، العواسي، الغشاشمة، القيوس، اللواحق، المساورة، المطارنة، المواجدة، المواسي، النحاحسة، أولاد محمد، الحساسنة والمكاسرة، وكانت مساكنهم جميعاً في برقة.[35]

والواضح إن هجرة بني سليم السريعة إلى شمال أفريقيا كانت طلباً للمغانم لا حباً في الفاطميين ولا في مذهبهم ولا تأييداً لمبادئهم فهم كانوا أنصارا للقرامطة من قبل ولكن طمعاً في الجاه والسلطة حيث كانوا قوماً شديدي المراس ومن الصعب السيطرة عليهم لأنهم دائمي الحركة والتنقل والترحال، ولذلك هاجروا إلي شمال أفريقيا رغبة منهم في الهجرة للابتعاد عن مضايقة الفاطميين لهم والحصول على مناطق جديدة بعيداً عن تسلط الفاطميين.

وكانت لقبائل بني سليم آثارها على المناطق التي سيطروا عليها حيث خربوا كل المدن التي مروا بها، حسب ما ذكرها بعض المؤرخين، فقد وصف ابن خلدون برقة أثناء نزوحهم إليها بقوله: ((أما برقة فدرست معالمهم وخربت أمصارها وأنقرض أمرها وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت داراً للواته وهوارة وغيرهم من البربر)) ويعد ابن خلدون أكثر المؤرخين العرب تحاملاً على قبائل بن سليم وعلى بداوتهم إذ يرى أنهم أعداء للتمدن والحضارة و سبباً لكل التخلف والتقهقر الذي ألم بالمغرب الإسلامي ويري أن هؤلاء البدو المنتقلين بأنعامهم لا يولون اهتماماً لمؤسسات القائمة أذ انهم يستخدمون حجارتها لمساندة قدورهم وأخشابها أوتاداً لخيامهم، وبلغ من احتقار

33 - إحسان عباس، : المرجع السابق، ص143-144.

34 - أبو عبدالله محمد الشريف الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (وصف إفريقية الشمالية والصحراوية) تحقيق هنري بيريس (الجزائر، 1957م) ص100.

35 - عبداللطيف البرغوثي: المرجع السابق، ص 343.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

ابن خلدون لهذه القبائل بأنه وصفهم بأبشع الأوصاف، حيث قال: ((كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتي وصلوا إلى أفريقية))[36] .

وقد أتفق النويري مع ابن خلدون في رأيه حيث قال عنهم ((شرعوا في هدم الحصون والقصور، وقطع الثمار وتعمية العيون وخراب الأنهار)) [37]

وبرغم أراء بعض المؤرخين العرب الذين انتقدوا بشدة هذه القبائل وأفعالها الا إن هذه الآراء فيها نوعاً من المبالغة، لان الأوضاع العامة في برقة وغيرها من مدن شمال أفريقيا كانت تعاني من سوء الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسبب حملات الفاطميين التأديبية المتكررة ضد أهل برقة المنهاضين لها، كما كان من الطبيعي لهذه القبائل التي عاشت في أجواء الجزيرة العربية الصحراوية أن تهجر المدن وتسعى وراء قوتها في الارياف والقرى.

الآثار السياسية لاستيطان قبائل بني سليم في برقة:

لعب الموقع الجغرافي لبرقة دوراً هاماً في تاريخ الدولة الاسلامية، حيث شكل حلقة وصل بين المغرب والمشرق الإسلامي، فعن طريقها انسابت الجيوش العربية لفتح المغرب، كما تدفقت القبائل العربية إلي المغرب والأندلس، وبذلك شكلت برقة المعبر الذي دخلت منها العروبة والإسلام إلى شمال أفريقيا، كما إن مدنها كانت هي آخر المحطات التي يمر عبرها الحجاج والتجار المغاربة والأندلسيين والأفارقة للتوجه نحو الشرق [38].

وقد شهد تاريخ برقة منذ القدم العديد من الأحداث السياسية التي كانت لها دورها في تحديد معالم تاريخها منذ الفتح الاسلامي حتي عصر الولاة، فقد بدأ الإسلام يتغلغل في نفوس سكانها و التحق أبنائها بفتح باقي أنحاء المغرب، وفي العصر الأموي والعباسي ظهرت العديد من الثورات بين سكان أهل برقة الرافضين لسياسة الولاة الذين سيطروا على مقاليد الامور فيها والحقوها إدارياً وسياسياً بالحكم في مصر، ولم يسمحوا لأهلها بإدارة شؤونها، إلى جانب فرض الولاة الجزية على من أسلم من أهلها ، وعند قيام الدولة الفاطمية في المغرب سنة 297 هـ / 909 م تغيرت معالم الخريطة السياسية في المغرب الإسلامي، إذ حاولوا في بادئ الأمر بسط

36 - ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت، 2000م)، ص 31

37 - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28، مطابع كوستا تسوماس وشركاه (القاهرة، دون تاريخ)، ص347

38 - سعيد جمعة حماد: ((إقليم برقة بين التبعية والاستقرار من الفتح الإسلامي حتي نهاية العهد الفاطمي))، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية المرج، العدد 21، مجلة علمية الكترونية محكمة، (المرج، 2016م)

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

سيطرتهم بقوة على أهالي برقة وطرابلس وفرض مذهبهم الشيعي عليهم ، غير أن المعز لدين الله الفاطمي وخاصةً اثناء فشل حملاته على مصر، رأى شدة تمسك أهالي برقة بمذهب السنة، وتمسك أهالي طرابلس بالمذهب الإباضي لذلك عمل على تغير سياسته حيث حرص على كسب ودهم لكي يحقق لحملته التي أعدها بقيادة جوهر الصقلي عوامل النجاح [39].

إن استيطان القبائل العربية لشمال أفريقيا بصفة عامة وليبيا بصفة خاصة لها أثر سياسي خطير بدأ منذ أن وطأة أقدامهم شمال أفريقيا واستمر باستمرار تواجدهم عليها، فقد أصبحوا جزء من شعوب المغرب الإسلامي يؤثرون في الأحداث ويتأثرون بها، ونتج عن هذا التفاعل آثاراً سياسية جديدة لم تؤثر على المغرب فحسب بل أثرت في التاريخ الإسلامي ككل، ويذكر أندري جوليان بأن زحف بني هلال وسليم بلا منازع أهم حدث عرفته بلاد المغرب أثناء القرون الوسطى فهي أثرت في سكان شمال أفريقيا أكثر من الفتح الإسلامي، حيث صبغت المغرب صبغة عربية لم تستطيع القرون محوها [40].

وما كادت هذه القبائل أن تستقر حتي بدأت تلعب دوراً رئيسياً، فانخرطت في الأحداث السياسية والصراعات التي طرأت على دول المنطقة، منحازة إلى أحد الطرفين، مقاومة أو مناصرة لهم أو عاقدة تحالفاً معهم و أحياناً تقوم بتقديم خدمات مسلحة لصالح الأسر الحاكمة كجنود مرتزقة مقابل بعض العطايا والهبات، وانضمامهم إليها كان يقرر مصير الحرب ويضمن النصر فيها، وكان كرها وفرها في إطار تلك الدائرة من الأحداث السياسية التي دمغت بخصائصها أحداث افريقيا الشمالية في منتصف القرن الحادي عشر حتي زوال جميع الأسر المحلية واستقرار قبائل بني سليم بصفة نهائية في مختلف بقاع برقة . [41]

بالإضافة إلى ذلك شكلت تلك القبائل مركز قوة احتاجت لها الدول المجاورة حيث كان يستعين بهم ولاة الأمر في تعزيز مركزهم في الحكم أو يغريهم الطامعون في الحكم ليصلوا إلى السلطة على أكتافهم . وقد تراوحت علاقة العرب بهذه الدول بين التقرب والأبتعاد حسب مصالحها، فإذا كانوا بحاجة إليهم قربوا رؤساءهم بالمصاهرة والمجالسة وأقطاعتهم الأراضي واعتمدوا عليهم في جباية القبائل المستضعفة وإذ استغنوا عنهم حاولوا قهرهم وتجريدهم من

39 - صالح المزيني :المرجع السابق، ص 5 - 6

40 - شارل اندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي، ج 2، الدار التونسية للنشر (تونس، 1985 م) ص97 - 98.

41 - هنريكو دي أغسطيني: المرجع السابق، ص 26.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

امتيازاتهم، فقاموا بالثورات للمحافظة على سطوتهم ونفوذهم بين قبائل برقة والمناطق المجاورة لهم، حيث اشتركوا في ثورة قراقوش و ثورة بن غانيه [42].

ويجب القول إن تلك القبائل ليست الوحيدة المسؤولة عن الفوضى السياسية التي اجتاحت المنطقة آنذاك بل إن الحكومات والولاة هم الذين شجعوهم على ذلك، ولم تكن منازعاتهم طمعاً في ملك أو رغبة في الفوضى، أنما كانت حفاظاً على حياتهم وبقائهم حيث استعان بهم ابن حماد ضد الزيرين وكذلك استعان بهم تميم بن المعز وحرضهم ضد بن حماد، كما أن الحكومات التي قامت في المغرب على أنقاض الموحدين (الحفصيين، والمرنيين، والزيانيين) استعانوا بهم في حربهم ضد بعضهم، ورغم ما كان يقوم بين قبائل بني سليم من منازعات إلا أنهم يسارعون إلى الاتحاد إذا تعرضت مصالحهم للخطر حيث اتحدوا جميعاً للقضاء على دولة بني حماد ومقاتلة الناصر بن علناس، واتحدوا ضد عبد المؤمن بن علي لأن قوة دولته خطر على مصالحهم وامتيازاتهم [43].

واستمر أثر هجرة بني سليم لقرون عديدة، حيث سببت تلك الهجرة حالة من عدم الاستقرار السياسي في المنطقة، بالرغم من تغلب العرب على الزناته والصنهاجة إلا أنهم لم يؤسسوا ملكاً لهم ولم يشيدوا دولة، ويقول الدكتور عبد الحميد يونس إن الفارق الجوهري بين القبائل الغازية وبين عرب الفتح يعود ذلك إلى إن عرب الفتح كان لهم دافعاً هو نشر الإسلام، حيث خرجوا من دولة لها أسس ومبادئ سامية، أما هؤلاء الإعراب فقد جاءوا بتحريض من الخليفة الفاطمي، والمحرك لهم هو غرائزهم، وكانت عصبتيهم أقوي من أن تتحول إلى ارتباط بإقليم محدد، لذلك فضلوا عدم الاستقرار والبقاء في القرى والأرياف[44]، وقد ذكر ابن خلدون ذلك عندما قال إن هذه القبائل كانت تكره الاستقرار ولا يمكن لها أن تنطوي تحت لواء دولة قائمة أو سيطرة قبيلة عليها و لن ترضها هذه القبائل عن نفسها [45]

أثر مجيء بني سليم على الأوضاع الاقتصادية في برقة:

أولا: الزراعة و تربية الحيوانات

42 - مراجع عقيلة الغناى: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1988م) ص16-17.

43 - المرجع نفسه، ص28 - 29 .

44 - عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، بدون نشر (القاهرة، 1956م) ص 124، 136

45 - صالح المزيني: المرجع السابق، ص 203.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

يتمتع إقليم برقة بوفرة المقومات الطبيعية والبشرية التي شجعت على امتهان سكانه حرفة الزراعة لتوفير قوتهم. وتنقسم الزراعة إلى نوعين زراعة بعلية ومروية، وكانت معظم الزراعة في ليبيا تعتمد على الأمطار ونتيجة لذلك اهتم سكانها بطرق الري الرومانية القديمة التي تعتمد على تخزين مياه الأمطار في الآبار.[46]

ويمثل الري عقبه في طريق ازدهار الزراعة، ويرجع ذلك إلى عدم الاهتمام بتحسين الزراعة وتوفير مستلزماتها، حيث اعتمدت على المجهود الذاتي للمزارعين دون تقديم أي مساعدة من قبل الدولة لانشغالها بالحروب والثورات الداخلية، مما جعل محاصيلها عرضة للتذبذب في إنتاجها بين عام وآخر، وكلما قلت الأمطار قلت المحاصيل وارتفعت الأسعار، وحل القحط وعمت المجاعة في الإقليم حيث اضطر سكان برقة في بعض السنوات إلى الهجرة إلى مصر نتيجة للمجاعات والجفاف مثل ما حدث سنة 695هـ/1295م، وتعد الحبوب من أهم المحاصيل الزراعية التي ازدادت زراعتها في العصر الفاطمي في برقة فكان القمح أفضل أصناف الحبوب حيث زرع في طلميثة والمرج وبالقرب من مدينة سرت، أما الشعير فقد زرع بالقرب من مدينة برقة واجدابيا وبنغازي، وزرعت الذرة في الواحات الجنوبية حيث كانت تسقي بمياه الآبار، كما زرع في درنة بالإضافة إلى ذلك محصول الدخان والبرسيم[47].

وقد اشتهرت برقة أيضاً بإنتاج الخضروات التي كانت تحتاج إلى وفرة المياه، كما تميز شمال اقليم برقة بزراعة شجر النخيل في اجدابيا وسرت وحول مدينة أوجلة في الجنوب ، ولم تقتصر زراعة النخيل على هذه المدن فقط بل كانت مدينة ودان تنافس أوجله في إنتاجها وجودتها من التمور علاوة على رخص الأسعار بها، غير أن أوجله كانت تمتاز عن ودان بكثرة التمور اليابسة[48]، مما دفع قبائل بني سليم في آخر العصر الفاطمي إلى التطلع للسيطرة عليها، وربما يرجع ذلك إلى دورها التجاري ووفرة تمورها[49]، وإلى جانب هذه المحاصيل عرفت برقة زراعة بساتين الفاكهة مثل الجوز والسفرجل والتفاح والكروم والعنب حول مدينة برقة ومسوس، حيث يذكر ابن حوقل ((إن برقة بقعة فسيحة عامرة بصنوف الفواكه، وأن أرضها حمراء خلوقية

46 - عبد الفتاح بولبيض: المرجع السابق، ص 132.
47 - صالح المزيني: المرجع السابق، ص201
48 - ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبة دار الحياة (بيروت، دون . تاريخ)، ص 69 - 70 .
49 - عبد الفتاح رجب بولبيض، المرجع السابق 130.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

التربة)) [50]، كما زرع الزيتون حول مدينتي برقة وطلميثة حيث يذكر البكري في كتابه ((إن في جبال برقة أشجاراً مثمرة من الزيتون)) . [51]

واتبع سكان برقة منذ مجي بني سليم واستقرارهم فيه نوعاً من الملكية العامة للأراضي الزراعية إذ تقاسموا أراضيها حسب عشائرهم، واستولوا على معظم الاراضي الخصبة، وإن ظلت بقية من البربر في بعض النواحي محتفظين بأراضيهم لفترة من الوقت . ومن المرجح إن إقليم برقة عرف نظام الإقطاع خلال العهد الأيوبي إذ لا تمدنا المصادر باي معلومات عن وضعية الأراضي في تلك الفترة غير أنه من المرجح بأنه قد اقطعها السلطان الأيوبي لبعض مشايخ بني سليم كما هو الحال لإخوانهم من بني سليم في مصر، وعندما قام السلطان بيبرس بضم برقة سنة (662هـ/1263م) أقطع إقليم برقة للشيخ عطاالله بن عزاز أحد مشايخ سليم بمصر على أن يقوم باستخراج زكاة الغنم، والعشور من التجار و يكون له الثلث من محاصيلها.[52]

ويبدو أن النمط السائد في برقة هو نظام الشراكة حسب المرابعة وهذا ظهر بعد سيطرة بن سليم على برقة، ونتيجة لطبيعتهم البدوية انصرفوا إلى رعي قطعانهم بينما قام البربر أو بعض العرب الفتح باستصلاحها مقابل الحصول على ربع الغلة . كما عرف الإقليم نوعاً من نظام المغارسة بالمثالثة وتنص على أن يمتلك المزارع ثلث الأرض مقابل استصلاحها مثل ما قام به الشيخ هندي أحد مشايخ السعادي السلميين ببرقة وبين الأسر الاندلسية (894هـ/ 1488 م) هذا ما جعل هؤلاء يستقرون كملاك في أراضيهم وشكلوا مع الزمن طائفة من الحضر. [53]

وفي واقع الأمر إن بعض شيوخ قبائل بني سليم قد وزعوا بين قبائلهم الأراضي الزراعية المختلفة التي سيطروا عليها بعد أن اخضعوا سكانها الأصلين إلى مستوى أقنان الأرض، وفرضوا عليهم نظاماً أشبه ما يكون بنظام الإقطاع، حيث كانوا يتقاضون من العاملين في الزراعة ضرائب و إتاوات معلومة ومارسوا على السكان الأصلين نوعاً من التسلط والأبتزاز [54].

ويتضح من كلام بعض المؤرخين وعلى رأسهم الإدريسي الذي عاصر فترة استيطان بني سليم في برقة أن البلاد أصيبت بدمار كبير أثناء قدوم تلك القبائل وأن حرفة الزراعة التي كان

50 - ابن حوقل: المصدر السابق، 69

51 - أبو عبيد الله بن عبدالعزيز البكري :المغرب من ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، جزء من المسالك والممالك، نشر دي سلان (الجزائر، 1857م) ص4.

52 - عبد الفتاح رجب بولبيض، المرجع السابق، ص130.

53 - إحسان عباس: المرجع السابق، ص151 .

54 - الإدريسي: المصدر السابق، ص 47 .

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

يشتغل بها السكان الأصليين قد أصابها الكساد، وأن ما بقى من مظاهر زراعية في النواحي المختلفة من برقة إنما كان يقوم به السكان الأصليون من زناتة وهوارة.[55]

وبالإضافة إلى ذلك اشتهرت برقة بتربية الحيوانات منذ القدم أذ اعتمد عليها السكان في الحصول على اللحوم والألبان، فلا شك إن كل الأراضي الغير زراعية كانت تستغل كمراع تربي فيها الحيوانات المختلفة مثل الضأن والماعز والإبل والبقر، والخيل الذي حاز على شهره واسعة، والحمير التي سخروها في الإعمال الزراعية كالحرث والْري .[56] هذا ولم يهمل أهل برقة تربية النحل بل اعتنوا به حتى أصبحت أسواقهم تزخر بيع العسل حتى قيل عنهم أنهم كلهم عساله، ويقال أيضا أن تربة مسوس يغلي منها العسل.[57]

كما اشتمل الإقليم على النعام والحيوانات البرية مثل الغزال الأبيض والفهد الوحشي وضباع وكذلك العصافير والسمان وتنتشر الحبارى والصقور والحجل بالجبل الأخضر.[58]

ولاشك أن الضرر الذي نزل بالاقتصاد الزراعي لم يقتصر على الثروة النباتية بل لحق أيضا بالثروة الحيوانية فالقبائل العربية المهاجرة هي من البدو الرحل الذين كانت الحيوانات الأليفة وغيرها تلعب دوراً مهماً في حياتهم، لذلك فأنهم كانوا يستولون على ما يستطيعون الاستيلاء عليه من الحيوانات الأليفة كالإبل والخيل والأغنام وغيرها، كما أنهم كأصحاب صيد قنص لم يدخروا وسعاً في اصطياد الحيوانات البرية للانتفاع بلحومها وجلودها[59] . ولقد أشار الإدريسي إشارة عابرة لممارسة العرب المهاجرين للصيد عندما قال عن جبال أوثان ((جزء من الجبل الأخضر إلى الشرق من طلميثة وأهلها (وهم من هيب ورواحة) يتصيدون فيها))[60] .

ثانياً: الصناعة

كانت الصناعة في برقة قبل مجيء قبائل بني سليم ذات أثر محدود، حيث كانت بسيطة وبدائية، تقوم أساساً على الطريقة اليدوية، تعتمد في موادها الخام على بعض المنتجات الزراعية والحيوانية، وترتكز على السلع الاستهلاكية التي لابد من إنتاجها محلياً مثل العسل والتمور والتين .

55 - البكري: المصدر السابق، ص5.
56 - عبد الفتاح رجب بولبيض" المرجع السابق، ص 139.
57 - عبد الطيف البرغوثي: المرجع السابق، ص 348.
58 - صالح المزيني: المرجع السابق، 209.
59 - الإدريسي: المصدر السابق، ص1- 3
60 - عبدالفتاح بولبيض: المرجع السابق، ص 142.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وقد اشتهرت مدينة برقة بزراعة الزيتون الذي قامت عليه صناعة عصر زيت الزيتون، كما ظهرت في الإقليم أيضا الصناعات الغذائية التي تعتمد على الإنتاج الحيواني كصناعة السمن واللبن المجفف المعروف بالكشك، وعرف أهل برقة حفظ اللحوم عن طريق تقديدها [61] كما اهتموا بصناعة خلايا النحل واستخراج العسل والشمع لما اشتهروا به من تربية النحل والاهتمام به.[62]

ولا شك إن كثرة أشجار النخيل في ليبيا أدت بالضرورة إلى صناعة الأوعية من سعف النخيل لاستخدامها في نقل التمور التي كان يجمعها أصحاب هذه المزارع، واشتهرت بهذه الصناعة اوجلة وزويلة.[63]

وظهرت في برقة بعض الصناعات الفخارية والخزفية المتمثلة في أدوات حفظ وتحضير الطعام مثل القدور والأباريق. كما وجدت في برقة بعض الصناعات القائمة على جلود الحيوانات مثل صناعة النعال الرجالية والنسائية، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك بعض الصناعات التقليدية المعروفة في شمال أفريقيا مثل سروج الخيل ورواحل الجمال والأسلحة الخفيفة والبسيطة كالسيوف والخناجر، وتوافرت بعض المعادن في برقة مثل الكبريت الذي كان يجمع من مقطع بالقرب سرت وطلميثة، وقد بلغ هذا المعدن من الوفرة حيث إن الحجاج والمسافرين كانوا يحملون عدداً من إبلهم بالكبريت ويقومون ببيعه في مصر وطرابلس، كما وجد القطران في برقة والملح في بنغازي[64] . ويذكر ابن حوقل صناعة القطران فبقول في ذلك ((.....ذلك أنها تنفرد في التجارة بالقطران الذي ليس في كثير من النواحي مثله ...)) [65]

وقامت في برقة صناعة المنسوجات ولاسيما الصناعات الصوفية والتي مثلت العنصر الأساسي في صناعتها بفضل توافرها بالإقليم والذي يتم الحصول عليه من الأغنام بعد جزها ثم غزلها يدوياً ونسجها بمهارة وإتقان، حيث صنعت الأثواب والأغطية وبيوت الشعر التي مثلت السكن المفضل للبدو الرحل، وكانت الأكسية والثياب الصوفية تباع في أسواقها بشكل واسع، وكان الفائض من هذه المصنوعات خاصة الثياب الصوفية تصدر إلى المغرب.[66]

61 - الإدريسي: المصدر السابق، ص103.
62 - صالح المزيني، المرجع السابق، ص209.
63 - عبدالفتاح بو لبيض: المرجع السابق، ص143-144.
64 - صالح المزيني: المرجع السابق، ص210.
65 - ابن حوقل: صورة الارض، ص69.
66 - عبدالفتاح بولبيض: المرجع السابق، ص146.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك صناعة السجاد الذي زين بأشكال هندسية مميزة، و اتخذت هذه السجاجيد أحجاماً مختلفة منها ما يعلق على الجدران وبعضها الآخر تفرش على الأرض وتركز هذا النوع من الصناعة في درنة وبنغازي. (67)

كما انتفعت مدينة برقة بثروتها الحيوانية في دباغة الجلود حيث انفردت بالجلود المجلوبة للدباغ في مصر. غير أنه يبدو أن إقليم برقة بدأ بعد ذلك يعتمد على نفسه في دباغة الجلود إذ يذكر ابن حوقل أن مدينة برقة كان بها والي الآن ديار لدباغ الجلود البقرية والنمور الواصلة إليها من أوجله. (68)

ويمكن القول مما سبق أن أثر قبائل بني سليم لم يظهر واضحاً في الصناعة حيث لم تنوه المصادر الاسلامية عنها، ومن الطبيعي أن الصناعة لم تشهد أي تطوراً يذكر وخاصةً الصناعات التقليدية التي استمرت على ما كانت عليه قبل مجيئهم لانهم اعتمدوا في تنقلاتهم على المواد المنزلية البسيطة من قدور وأواني فخارية مختلفة في أشكالها عما كان عند قبائل البربر وأقل صقلاً واتقاناً منهم، كما أنهم لم يقوموا باستجلاب أي صناعات جديدة تذكر لعدم استقرارهم وكثرة تنقلهم وتركزت صناعاتهم في الصناعة التي تعتمد على الإنتاج الحيواني بحكم إنهم رعاة.

ثالثاً: التجارة

لقد ازدهرت الحركة التجارية في برقة بعد أن أتم العرب فتح المغرب وبدأت القبائل العربية هجرتها إليه، فاستأنفت المدن الساحلية نشاطها التجاري كهمزة وصل بين أقاليم ليبيا وأفريقيا، والعالم ما وراء البحر المتوسط (69) وبسبب موقع إقليم برقة الجغرافي والاستراتيجي نشطت الحركة التجارية إذ أنه يطل بساحله الطويل على البحر الأبيض المتوسط، الذي استخدمه الحجاج والتجار المغاربة والأندلسيين، وقد تناثرت على طول هذا الطريق البحري عدد من الموانئ، والتي كثيرا ما تلجأ إليها المراكب التجارية التي تحمل البضائع والمسافرين، كما تجنح إليها عند تعذر ظروف الملاحة بسبب اضطراب البحر وانعدام الرؤية، وكذلك توفرت في بعضها وسائل الإقامة للمسافرين، كان بها عدة منازل للراحة وإنزال الحجاج قبل انطلاقها إلى الإسكندرية ورسوها لحمل بعض السلع في طلميثة وسرت ومصراتة. (70)

67 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص69.
68 - صالح المزيني: المرجع السابق، ص212.
69 - عبدالفتاح بولبيض: المرجع السابق، ص145.
70 - صالح المزيني: المرجع السابق، ص 212.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وزادت أهمية التجارة الداخلية في إقليم برقة نتيجة لتوفر السلع في الأسواق، ووقوع بعض هذه الأسواق على الطرق التجارية التي تربطها بالمشرق والمغرب الإسلاميين ونتيجة لذلك ازدهرت الأسواق التجارية في ليبيا، فبرقة كانت لها أسواقاً كثيرة من بينها سوق أجية الحافل بأنواع المحاصيل الزراعية، كما اشتهرت أسواق برقة بما يعرض فيها من الملابس وخاصةً الصوفية منها، لوفرة ثروة هذا الإقليم الحيوانية . وازدهرت هذه الأسواق ازدهاراً كبيراً نتيجة لتوافد التجار بأعداد كبيرة في جميع الأوقات. بالإضافة إلى ذلك تنوع ما يعرض بأسواق برقة من منتجات من الصوف والفلفل والشمع والعسل والزيت، والواردات من المشرق والمغرب .[71]

كما كانت برقة محطة التقاء للقوافل البرية التي تربط مصر بطرابلس وبلاد الأندلس .وقد تعددت الطرق البرية التي تمر بالإقليم فمنها الموازية للبحر، وكان يسلكها الحجاج والرحالة كالتي سلكها العبدري في طريق عودته من رحلة الحج، ويوجد هناك طريق صحراوي يتميز بقصره وأمنه سلكه ابن بطوطة وعبدالباسط بن خليل اللمطي في سفرهما من طرابلس إلى مصراته 800هـ /1397م .[72]

وكانت القوافل البرية تتزود بالمياه أثناء سيرها عبر هذه الطرق فقد وصف العبدري آبار ومواضع المياه في الطريق الذي يوازي الساحل و يخترق غابات الجبل الأخضر، كما يمر الطريق الصحراوي بعدد من الواحات التي مثلت نقاط استراحة للتجار والمسافرين إلى مصر وبلاد المغرب والسودان مثل أوجله وزويلة، وقد استعمل أهل برقة في معاملاتهم التجارية العملة الرومانية وهي العملة المتداولة في مصر منذ فتحها، كما أنهم تعاملوا في فترة الفتح بالعملة البيزنطية ثم بالدينار الذهبي الأموي، كما سُكتْ فلوس نحاسية في مدينة برقة في القرن الأول الهجري، واستخدموا السفاتج في معاملاتهم التجارية، ولم تمدنا المصادر التاريخية إلا بمعلومات مقتضبة عن النظام التجاري في الإقليم [73].

ولم تسلم التجارة في برقة بصفة عامة من أذى القبائل العربية المهاجرة ولكن الضرر الذي لحق بها كان أقل مما لحق بزراعة، فعلى سبيل المثال ظلت طرابلس ولبدة طيلة وجود بني هلال مقراً يتردد عليه التجار ذلك للازدهار الصناعات التقليدية ونشاط الأسواق بها فتلك القبائل استفادت من التجارة حيث طورت من طبيعتها البدوية وتأقلمت معها، وإذ قارنا وضع التجارة في

71 - عبد الفتاح بولبيض: المرجع السابق، ص 146
72 - المرجع نفسه، ص147، 152.
73 - أحسان عباس: المرجع السابق، ص151.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

طرابلس بإقليم برقة في ظل وجود بني سليم نجدها شهدت فترات من الكساد التجاري في أسواقها رغم تردد بعض المراكب لنقل الصناعات البسيطة إلى الإسكندرية مثل العسل والصوف والزيت والجلود المدبوغة، وكان من يقوم بهذا التجارة هم البربر واليهود، ولم تكن العلاقة بين هذه القبائل والسكان الأصليين علاقة وئام دائماً، وإنما كثيرًا ما يسودها التنافر الذي يؤدي إلى القتال وكان شيوخ هذه القبائل يسيطرون على الأراضي الواقعة في طرق التجارية ويفرضون الأتاوات على التجار لضمان مرور بضائعهم تحت حماية تلك القبائل من القطاع واللصوص من بعض الأعراب الذين شكلوا خطراً على الحجاج والتجار والرحالة، حيث اشتهرت بعض تلك القبائل بالقبض على الحجاج وبيعهم رقيقاً في الأسواق[74].

ومن خلال مما سبق يمكن القول إن الحياة الاقتصادية بصفة عامة في إقليم برقة قد تأثرت بهجرة بني سليم إليها، بالإضافة إلى الوضع السياسي السيئ الذي كان يعيشه الإقليم بسبب رفض الأهالي التخلي عن مذهبهم السني، والخضوع لتبعية لدولة الفاطمية مما أدى إلى اشتعال الحروب في المنطقة إلى جانب الحملات التأديبية التي قام بها الفاطميين ضد تلك القبائل أدت بدورها إلى إخلاء المنطقة من السكان ونزوحهم، مما أثر سلباً على الحياة الاقتصادية التي كانت تحتاج إلي أيادي عاملة و قبائل مستقرة.

وقد تحول معظم المجتمع البرقاوي بعد دخول بني سليم تدريجياً إلى مجتمع بدوي من الإعراب الرحل وشبه الرحل، الذي لا يتناسب معهم زراعة الأشجار المثمرة التي تتطلب الإقامة والاستقرار [75]، كما إن هذه القبائل كانت في حاجة دائمة إلى مراعى واسعة لمواشيها، وبسبب محدودية هذه الأراضي في برقة فلابد للوافد القوي أن يطرد من سبقه إلى المراعي الفقيرة، وفي فترة لاحقه أصبح هؤلاء الرعاة المتنقلون يشكلون خطراً محدقاً بالزراعة مما نتج عنه تقلص في الأراضي الزراعية و تحولها إلى مراعي للمواشيهم، وبذلك دمرت الأراضي وخربت المحاصيل . كما أن استقرار بني سليم ببرقة مصحوبين بإنعامهم، صبغ الإقليم بصبغة رعوية إذ أن هؤلاء البدو يعتمدون في حياتهم على الغنم والإبل، كما أن حياة الرفاهية التي يحباها الحضر لا تتلاءم مع طبيعة حياتهم فهجروا المدن ولم يسكنوا فيها فلحق المدن في شمال برقة انحسار وتضاءل لفترة من الزمن . [76]

74 - عبد الفتاح بولبيض: المرجع السابق، ص 123.
75 - أحسان عباس: المرجع السابق، ص152.
76 - عبدالفتاح بولبيض: المرجع السابق، ص 165، 167.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

ويعد القرن الخامس الهجري قرناً حاسماً في بلاد المغرب إذ يعتقد أغلب المؤرخين بأنه شكل حجز بين مرحلتين: اتسمت الأولى بالقوة والنماء واتصفت الأخرى بالفوضى والتخريب، ويحمل بعض المؤرخين العرب القدامى حدوث هذا التدهور الاقتصادي والسياسي إلى هجرة بنى سليم، ومن هؤلاء المؤرخين ابن الأثير والمراكشي وابن خلدون. يصف ابن الاثير أعمال البدو التخريبية بقوله((شنوا الغارات، وقطعوا الطرق، وافسدوا الزروع، وقطعوا الثمار)) [77]، إلى جانب ذلك يحدثنا الإدريسي عن خراب مدينة سرت واجدابيا وبرقة حيث يذكر ما لهذه المدن من محاصيل زراعية من العنب والتين الزيتون والنخيل والقطن والنخيل إلا أن عندما سيطر عليها بن سليم أصيبت بكساد تام وخاصة في أسواقها. [78].

الأثر الاجتماعي لاستيطان قبائل بنى سليم في برقة:

سكن برقة قبل مجيء بني سليم عدد من **قبائل البربر** أهمها: الهوارة و لواته والزناتة ومزاتة وهم سكان الأرض الأصليون حيث قال عنهم ابن خلدون ((برقة كانت داراً للواته وهوارة))، وإلى جانبهم قطن اليهود الذين مارسوا التجارة داخل الإقليم وتوزعوا في المناطق الساحلية التي تمر بها الطرق التجارية مثل طلميثة وبنغازي ودرنه، كما سكنوا في المنطقة الداخلية مثل اجدابيا وزويلة.، وسكن أيضا في برقة بعض **السودانيين** الذين جاءوا عن طريق تجارة الرقيق وانصهر عدد كبير منهم مع السكان بالتزاوج والمصاهرة ولاسيما في الجنوب [79].

ومن سكان شمال أفريقيا بصفة عامة وبرقة بصفة خاصة **العرب** الذين لم يكن وصولهم في فترة الفتح والقرون الثلاثة الأولى أثر واضح على تشكيل الخريطة السكانية في إقليم برقة، أذ تركز العرب على السواحل و المدن كجند للفتح، ولكن الوضع لم يلبث أن تغير بعد وصول بن قرة الهلاليين إلى إقليم برقة، الذين لم تحدد المصادر التاريخية تاريخ قدومهم أو عددهم، و تمتعت تلك القبيلة بنفوذ قوي بإقليم في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي (386-411هـ /996م -1020م) وقد ناصبت الصنهاجين والفاطميين العداء، وقطن مدينة ودان قبيلتان من العرب هما بنو سهم والحضارمة في نفس الفترة، و كانت كثيرا ما تنشب بين هاتين القبيلتين حروب إلا أن السيطرة الكاملة على هذا الإقليم للقبائل بني قرة، و دخل بنو قرة في حروب مع قبائل البربر من أجل السيطرة على الأراضي الزراعية الرعوية غير أن الثائر أبو ركوة استطاع أن يوحد قبائل البربرية

77 - ابن الأثير: المصدر السابق ، ج 56/8.
78 - الادريسي: المصدر السابق، ص 89 - 90.
79 - ابن خلدون: المصدر السابق ج6، / 204.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

مجتمعة مع بني قرة في ثورته ضد الفاطميين محاوله تأسيس حكم مستقل، واستطاع تهديد الوجود الفاطمي في مصر إلا أن حركته انتهت بالفشل بعد أن تخلى عنه أنصاره من بني قرة الذين ظلوا في إقليم برقة إلى أن غادروه مع إخوانهم بني هلال إلى افريقية [80].

وبقدوم قبائل بني سليم أصبحت برقة من نصيبهم، حيث استقروا فيها وبسطوا نفوذهم على عرب الفتح والسكان المحليين، وتقاسموها فيما بينهم حسب توزيع أفخاذهم، إذ سكن بنو هيب وبنو لبيد برقة، بينما سكن بنو دباب وبنو عوف في الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية من برقة.، ولما انحصرت سيادة المماليك على الإقليم وأصبحت سيادة اسمية ظلت الأمور بيد مشايخ بن سليم، إذ إن قبائل السعادي المنحدرون من بني سليم ظلوا المهيمنين على الإقليم، والدليل على ذلك أن أحد زعمائهم الشيخ أبو هندي هو الذي اقطع العائلات الأندلسية الأراضي الزراعية في درنة في منتصف القرن التاسع الهجري / ومنتصف القرن الحادي عشر الميلادي[81].

وتشكل المجتمع في إقليم برقة من ثلاث طبقات وهي: الطبقة الحاكمة وطبقة الفقهاء وثم طبقة العامة، **فالطبقة الحاكمة** تكونت بعد القضاء على حركة أبي ركوة سنة 397هـ /1006م من الولاة الصنهاجيين، ولكن قبائل برقة طردت هؤلاء الولاة فأسند الفاطميون الولاية لمن يواليهم من عرب بني قرة، و تغير الوضع بعد استقرار بني سليم إذ انتقلت السلطة إلى بعض مشايخهم حتى العهد الأيوبي 568هـ/1172م . ثم استمر هذا الوضع مع حكم المماليك حتي سنة 662هـ/1263م حيث حكموا الإقليم عن طريق نظام الإقطاع لبعض المشايخ المتنفذين لدى سلاطين المماليك من بني سليم[82] .

ولم يلبث الوضع أن تغير بعد ضعف سيطرة المماليك على برقة، وأصبحت الطبقة الحاكمة تتمثل في عدد من مشايخ القبائل الذين استحوذوا على الأراضي الزراعية الخصبة التي يقوم بزراعتها واستصلاحها قبائل أخرى لقاء حصولهم على جزء من الإنتاج، وقد انحدر أغلب ملاك الأراضي في برقة من زعماء قبائل بني سليم وقد تغيرت مسمياتهم بداية القرن التاسع الهجري إلى اسم السعادي بينما عُرفَ الذين يقومون بفلاحة الأرض باسم المرابطين، وأما **طبقة الفقهاء** فلا تمدنا المصادر التاريخية إلا بمعلومات مختصرة عنهم، إلا ما ورد عن دورهم في إرشاد أهل برقة بتعاليم الدين الإسلامي، أما **الطبقة العامة** في المجتمع البرقاوي فهي تتكون

80 - هنريكو دي أغسطيني ، المصدر السابق، ص26
81 - المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2 / 111.
82 - عبدالفتاح بولبيض: المرجع السابق، ص 168، 170.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

من غالبية السكان وتشمل أهل الحرف والتجار والفلاحين ومربي المواشي، كما ينضم إليهم اللصوص وقطاع الطرق و كثيراً ما يتعرضوا للمسافرين والحجاج الذين لم يسلموا من أذاهم و يكثر اعتراضهم للقوافل في سنوات القحط والجفاف [83].

أما المرأة البرقاوية وخاصة البدوية فقد قامت بدور هام في الحياة، حيث نالت نوعاً من الحرية سمحت لها بالقيام ببعض الأعمال الاقتصادية التي تتمثل في رعي الماشية ومساعدة زوجها في أعمال الحقول الزراعية، وحظيت بعض النساء بمكانة مرموقة عند قبائل بني سليم، حيث تسمي بعض قبائلهم بأسماء أمهاتهم. ومن هذه القبائل قبيلة السعادي من بني سليم الذين ينتسبون إلى أمهم سعدى بنت الزناتي خليفة، وينظر بني سليم إلى زوجاتهم كرفيقة تشاركهم صعوبات وقسوة الحياة [84].

ولا تحدثنا المصادر التاريخية عن نوعية **الملابس** التي كان يلبسها بني سليم إلا بشذرات قليلة، ولعلها كانت لا تختلف كثيراً عن ما يلبسه المغاربة عموماً من البربر والعرب في تلك الفترة حيث كان الرجال يلبسون ملابس صوفية، قد تكون مزركشة بعلامات مميزة . و يغطون رؤوسهم ببرانس طويلة، وكانت نساء بني سليم يلبسن جلباباً طويلا وسروالا وعصابة على الرأس، ولا تختلف الملابس النسائية في المناطق الحضارية من برقة عن ملابس النساء في البدو إلا في نوعية نسيجها، أما **خيامهم** فهي لا تختلف في شكلها عن خيام إخوانهم من بدو الصحراء الغربية في مصر، ويتصف البدو عادة بقلة تناولهم للأغذية، إذ أنهم كانوا يكتفون بقليل من حليب النوق وبعض التمر، كما أنهم لا يكثرون من تناول اللحم، واعتمدوا في تحضير طعامهم على الدقيق الذي يعد من ضمن الغلال كالقمح والشعير والذرة ومن أهم أكلاتهم الدشيشة، الكسكسي، الخبز، والافتات، واللحم المقدد..[85]

واتصف أهل برقة بصفة عامة وبني سليم بصفة خاصة بالعديد من العادات الحميدة منها والسيئة، فهم كبدو يتفاخرون بعادة إكرام الضيف، فقد أكرم بنو كعب السليميين القاضي أبا بكر بن محمد العربي عندما تحطم مركبه في برقة ونزل ضيفا عليهم، وعن كرمهم يقول الرحالة

83 - ايفانز برتشارد: برقة القبائل البرقاوية وتفريعاتها، ترجمة ابراهيم احمد المهدوي، ط3، مكتبة 17 فبراير (بنغازي، 2013م) ص17 .

84 - عبدالفتاح بو لبيض، المرجع السابق، ص174، 177، 179.

85 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص141-142.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

العبدري أثناء مروره ببرقة ذهاباً إلى الحج سنة 688هـ / 1289م يقول ((ولا معترض للحاج عندهم يقرؤون التنزيل ويوالون المنفض بالجميل))[86]

وفي المقابل فإن عادة السلب والنهب كانت تنتشر في بعض الأنحاء من برقة ولاسيما خلال سنوات القحط والجفاف، وتحدثنا المصادر عن ممارسة بعض مشايخ بني سليم لأدوار متعددة حسب الظروف السائدة، ومن هؤلاء جبارة بن يكثر الذي اشتهر كقرصان في بعض الأحيان وحامي للقوافل البرية والسفن البحرية في أوقات أخري، كما انتشرت بعض العادات السيئة في إقليم برقة كالشعوذة والخرافات .حيث ظهرت حالات لبعض مدعى النبوة الذين جمعوا حولهم الأنصار، إذ قام أحد أفراد بني سليم بادعاء النبوة وزعم بأنه ينزل عليه قرآن من السماء، وتصمت المصادر التاريخية عن الحديث عن مصير هذا المدعي، وكيف كانت نهاية دعوته، وعرف أهل برقة بمزاولة بعض الألعاب الترفيهية كالاهتمام بسماع الشعر والصيد البري والبحري، ولعبهم للشطرنج حيث أشار الفقيه ابوبكر بن العربي سنة 480هـ / 1092م إلى أنه قد شاهد أحد مشايخ السليمين وهو يلعب الشطرنج، كما عرفوا لعبة أخرى تسمي الشيزى.[87]

ومن خلال تتبعنا للحياة الاجتماعية لقبائل بني سليم في إقليم برقة نجد إن هذه القبائل كان لها تأثيراً قوياً على سكان هذا الإقليم إذا كان الفتح الإسلامي للمغرب العربي حوله إلى بلد مسلم فإن الهجرة الهلالية قد حولته إلى بلد عربي، واكتسب سكانه الأصليين العادات والتقاليد العربية، وكان من الطبيعي جدا أن يؤثروا في سكان برقة لأن بني سليم لم يؤسسوا دولة أو ملكا أو أي كيانات سياسية إنما ظلوا على طبيعتهم البدوية فحافظوا على عاداتهم واستقروا بين البربر في قراهم أو أقاموا لأنفسهم قرى جديدة بجنب قرى البربر وكان لابد أن يؤثروا فيهم، ولم ينج من هذا التأثير إلا البربر الذين اعتصموا في المناطق الجبلية البعيدة عن مواطن العرب، ولقد ظل هذا التأثير على مدى قرون حتى بعد أن انتهاء نفوذهم فيها.[88]

هكذا يمكن القول بأن الأثر الاجتماعي ظهر واضحاً في أنحاء برقة حيث استقر بنو سليم واندمجوا مع الأهالي في هذه البلاد، وامتزجوا بهم في المعاملة والتجارة والمعايشة والمصاهرة

86 - محمد بن محمد علي البلنسي العبدري: رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم كردي، ط1، دار سعد الدين (دمشق، 1999م) ص204.

87 - عبدالفتاح بولبيض، المرجع السابق، ص180-182.

88 - محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الادب في ليبيا العربية من الفتح الإسلامي إلى اليوم، ج1، دار الكتاب العربي (بنغازي، د.ت)، ص 80-81.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

حتى أن العديد من قبائل هذه المنطقة اليوم تجري في عروقهم الدماء العربية و البربرية وخير مثال على ذلك قبائل أبي الليل وهي من قبائل بني سليم، التي تزوج زعيمها (أبوالليل) من أحد نساء زناته واستقر هو وأبناؤه في برقة، كما إن قبيلة هيب من سليم أيضا قد استقرت في برقة وامتزجوا بأهلها امتزاجاً من الصعب علينا الآن أن نميز بين ذريتهم وذرية أهل البلاد الأصليين . وهكذا جعل العرب تلك المنطقة تتميز بشخصيتها العربية الواضحة .[89]

وقد أدي دخول بني سليم في برقة إلى هجرة قبيلة زناته البربرية إلى بلاد المغرب . كما كان من نتائج هجرتهم مزج بقية البربر لاسيما في برقة وانصهارهم في بوتقة التركيبة العربية، إذ أن كثيراً منهم انتسبوا إلى أصول عربية، بعد أن اختلطوا بالعرب بالجوار أو النسب، وتلاشت الفوارق بينهم، حتي لم يعد للشخصية البربرية هناك أي مظهر منفصل إلا في بعض المواقع البسيطة في أوجلة ومراده، وقد شهد لهم العبدري بالفصاحة والمحافظة على الأعراب على مر الزمن، [90] ويقول ابن خلدون عن ذلك عند حديثه عن قبيلة هوارة فقال((صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزى وسكن الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين الصيف والشتاء في تولوهم وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوها بفصاحة العرب، فلا يكاد يفرق بينهم)) [91]

الأثر الثقافي لاستيطان قبائل بنى سليم في برقة:

تميزت الحياة الثقافية في ليبيا بنشاط منذ الفتح الإسلامي واستمرت حتي زمن الفاطميين وخلفائهم في المغرب من الصنهاجيين، حيث كانت دور القرآن في المدن الكبرى مثل طرابلس وبرقة وجبل نفوسة ما تزال عامرة بالحلقات العلمية حول الشيوخ، ويكفي أن نذكر كيف إن القبائل البدوية مثل: بني قرة ببرقة رحبت بأبي ركوه معلماً لأبناء القبيلة قبل أن تعلم شيئاً عن نواياه وإطماعه السياسية، واستمر الأمر على هذا الحال حتي قدوم الهجرة الهلالية التي دمرت العمران، وأثرت في الحركة العلمية أيضا إذ قضت على مدن التي توجد فيها العديد من المؤسسات والمراكز العلمية، وأجبرت بعض العلماء على الهجرة وأودت بفريق آخر منهم، مما اضطر العديد من المثقفين الليبين على الهجرة إلى مصر والقيروان وصقلية والأندلس إما طلباً للمناصب أو هرباً من حكم الفاطميين أو من اجتياح القبائل العربية للمنطقة، فهاجر بعضهم

89 - احسان عباس، المرجع السابق، ص 153.
90 - المرجع نفسه، ص211.
91 - ابن خلدون: المصدر السابق، ج141/6.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وانقطعت صلتهم بموطنهم الأصلي وإن ظل البعض يحتفظ بنسبه، ويجب القول إن لمعرفة نمط الحياة الثقافية في هذا الإقليم في تلك الفترة لابد أن نستعرض المؤسسات التعليمية القائمة هناك حتى يتسنى لنا معرفة تأثير هذه القبائل عليها، حيث لم تحدثنا مصادرنا الإسلامية عن المؤسسات في برقة أثناء وجود قبائل بني سليم فيه بل اشارت إن المنطقة قد شهدت نوعاً من التعليم الديني المتمثل في الرباط والكتاتيب والزوايا [92].

ومن أبرز العلماء الذين عاشوا في فترة هجرة بني سليم وهلال أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الاجدابي اللواتي المعروف بابن الأجدابي الذي ساهم في استمرار النشاط الثقافي في القرن الخامس قبل ذلك المد، حتى إذا جاء القرن السادس أخذت حركة التأليف تنحسر ولم نعد نسمع عن علماء في مثل وزن الدوادي وابن الأجدابي ابن المتمر .

ويبد إن من أهم العوامل المسؤولة عن ركود الحركة العلمية في منتصف القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجري إلى جانب العزلة التي وقعت فيها ليبيا بعد غزو القبائل العربية هي:

- فقدان ولاية برقة للمشاركة العلمية بعد خراب مدنها وقراها وتحولها إلى الحياة البدوية وبرغم من ذلك برز بين تلك القبائل المهاجرة أنواعاً أخرى من العلوم وخاصة الأدبية منها: كالشعر والنثر والخطابة وغيرها من العلوم التي جاءت مع هؤلاء المهاجرين.

- اضطراب الأوضاع السياسية في برقة وطرابلس خاصةً أيام ثورة قراقوش ابن غانية.

-عدم تشجيع الأسرة الحاكمة لاي نوع من النشاط العلمي.[93]

إن تلك الهجرة لها فضلاً كبيراً على ليبيا فيما يتعلق باللغة والعادات والتقاليد، إذ لولا تلك الهجرة لما سيطر الجنس ولا اللسان العربي على البلاد، ولما كانت ليبيا المعاصرة عربية الوجه والقلب واللسان والسلوك، كما هي الآن إن استيطان موجات الأعراب المهاجرين في كل الأماكن الصالحة للاستيطان في ذلك العهد أدى إلى ترسيخ حركة التعريب في البلاد سواء من حيث اللغة والعادات والتقاليد والانتساب إلى الأصول العربية، و يذكر ابن خلدون في كتابه إن قبيلة هوارة صاروا من بطون عرب بن سليم في اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب، وقد امتزج قبائل البربر بالعرب واندمجوا معهم بالمصاهرة والاختلاط.، ومهما يقال على الدمار الذي ألحقته هذه القبائل بشمال أفريقيا

92 - احسان عباس: المرجع السابق، ص211.

93 - المرجع نفسه، ص 214.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

فإن ليبيا تدين لهم بغلبة العنصر العربي، وقد شهد لهم العبدري بالفصاحة والمحافظة على الأعراب على مر الزمن [94].

من المؤكد إن أهم نتائج هجرة الهلالية بصفة عامة على شمال إفريقيا أنها استحكمت عروبة الألسنة في جميع إنحاء المغرب الإسلامي وصار للعربية السيادة والهيمنة في كل جزء من أجزاء المغرب، وخاصةً برقة فساعدت بذلك على أن تكون لتلك البلاد شخصيتها العربية الواضحة. ومع أن اللغة العربية في المغرب اختلفت في لهجتها وحدثت بها تغيرات عن عربية المشرق فإن ذلك جاء بحكم البيئة الجديدة والاختلاط بالبربر، فكما تأثر البربر بالعرب واخذوا لغتهم أثروا هم في لغتهم أيضا إلى حد ما، وقد لاحظ العبدري ذلك في رحلته، وفسره تفسيراً دقيقاً إذ يقول عن عرب برقة ((عرب برقة اليوم أفصح عرب رأيناهم، وعرب الحجاز أيضا فصحاء، ولكن عرب برقة لم يكثروا ورود الناس عليهم فلم يختلط بكلامهم بغيره وهم إلى الآن على عروبتهم، ولم يفسد من كلامهم إلا القليل ولا يخلون من الإعراب إلا بما لا قدر له)) [95].

وإلى جانب الدور الذي لعبته تلك الهجرة في انتشار اللغة العربية بالمغرب الإسلامي، فإن تلك الهجرة كان لها تأثيرها على الشعر ، حيث تميزت تلك القبائل بكثرة أشعارها المنسوب لها، إلا أن بعضها يختلف من حيث الفصاحة، فبعضه شعر فصيح وبعضه ما يطلق عليه بالشعر البدوي الذي يبدوا انه قد طغى عليهم حتى كاد ينحصر الشعر الفصيح في الحواضر فقط [96].

فشعر بني سليم لا يختلف في الواقع عن الشعر العربي الفصيح، فلغته عربية فصيحة اختلطت بشيء قليل من اللهجة الدارجة في المغرب التي لا تعدو التحريف الجزئي للكلمة الفصيحة في النطق وفي الإعراب أما موازين الشعر والقافية فبقيت هي نفسها. ويعد شعر بني سليم الحلقة التي تصل بين الشعر الفصيح وبين الشعر الشعبي الليبي الحديث.، فإن التغيير الذي أدخله الزحف الهلالي على الشعر في ألفاظه وإعرابه استمر خلال العصور لذلك فالشعر الشعبي بقي بدوياً في جملته حتى الآن لأن البدو يحتلون حوالي 80%من السكان، كما إن الشعر البدوي في ليبيا يمتاز بمحافظته على الصور الشعرية المعروفة في الشعر العربي القديم [97].

94 - عبد الطيف البرغوتي: المرجع السابق، ص 355، 356.
95 - العبدري، المصدر السابق، ص88.
96 - محمد سعيد القشاط: الأدب الشعبي في ليبيا، ط1، د .ن (د.م، 1387ه) ص58، 65.
97 - حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب (القاهرة، 1962م) ص 151.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وما دمنا نتكلم عن أثرهم في الشعر فأننا يجب أن لا نغفل أثرهم في الأدب الشعبي والسيرة الشعبية الممثلة في السيرة الهلالية حيث يذكر بعض المؤلفين إن السيرة الهلالية مرت بطورين، الأول الطور الغنائي قبل القرن السادس الهجري، وثم بدأ الطور القصصي في القرن الثامن الهجري أي زمن ابن خلدون، وأن هذه السيرة بهذا الوضع أخذت وقتا طويلا فلا تستطيع أن تنسبها إلى فرد أو أفراد معينين إنما هي تعبير شعب عن مشاعره [98].

هكذا كانت لهجرة بني سليم آثاراً سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متنوعة أحيانا كانت أثاراً سلبية وأحيانا أخرى إيجابية لم تأثر على برقة فحسب بل أثرت على كل المناطق التي دخلتها تلك الأفواج من القبائل العربية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً :المصادر

01- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء

02- ابن حزم، أبو محمد علي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف (مصر، 1962م)

03- ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبة دار الحياة (بيروت، دون . تاريخ)

04- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت، 2000م).

05- -أبو صوة، محمود أحمد: جدلية المجال والهوية مدخل لتاريخ ليبيا العام، ط1، دار الرواد، (طرابلس، 2013م)

06- إدريس، الهادي روجي: الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، ج1، دار الغرب الاسلامي (بيروت، 1992م)

07- الادريسي، أبو عبدالله محمد الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (وصف إفريقية الشمالية والصحراوية) تحقيق هنري بيريس (الجزائر، 1957م)

08- أغسطيني ، هنريكو دي: سكان ليبيا، ترجمة خليفة محمد التليسي، ج2، الدار العربية للكتاب (طرابلس، 1990م)

09- برتشارد، ايفانز: برقة القبائل البرقاوية وتفريعاتها، ترجمة ابراهيم احمد المهدوي، ط3، مكتبة 17فبراير (بنغازي، 2013م) .

98 - محمد القشاط: المرجع السابق، ص 58.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

10- البرغوثي، عبداللطيف محمود: تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، دار صادر (بيروت، 1971م).
11- البكري، أبو عبيد الله بن عبدالعزيز: المغرب من ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، جزء من المسالك والممالك، نشر دي سلان (الجزائر، 1857م)
12- بولبيض، عبدالفتاح رجب: تاريخ برقة الإسلامي في فترة من القرن الخامس حتي الربع الاول من القرن العاشر الهجري من 400.925هـ، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين، (طرابلس، 2009م).
13- البيان و الأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين، عالم الكتب (القاهرة، 1987م)

ثانياً: المراجع والدوريات

14- جوليان، شارل اندري: تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي، ج 2، الدار التونسية للنشر (تونس، 1985 م)
15- حماد، سعيد جمعة: ((إقليم برقة بين التبعية والاستقرار من الفتح الإسلامي حتي نهاية العهد الفاطمي))، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية المرج، العدد 21، مجلة علمية الكترونية محكمة، (المرج، 2016م)
16- خفاجي، محمد عبد المنعم: قصة الادب في ليبيا العربية من الفتح الإسلامي إلى اليوم، ج1، دار الكتاب العربي (بنغازي، د.ت)،
17- الزاوي، الطاهر أحمد: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، دار المدار الإسلامي، (بيروت، 2004م)
18- الزائدي، محمد رجب: قبائل العرب في ليبيا، ج1، منشورات الكتاب الليبي، (بنغازي، 1968م)
19- السرجاني، سلطان طريخم المذهن: جامع أنساب قبائل العرب، د.ن (د.م، د.ت) .
20- الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2، دار الكتب العلمية (بيروت، 1995م)
21- عباس، إحسان: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، ط1، دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي، 1967م).
22- عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت، 1987م).
23- العبدري، محمد بن محمد علي البلنسي: رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم كردي، ط1، دار سعد الدين (دمشق، 1999م)
24- علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2، ج5، نشره جامعة بغداد، (العراق، 1993م)
25- الغناى، مراجع عقيلة: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1988م)
26- القشاط، محمد سعيد: الأدب الشعبي في ليبيا، ط1، د .ن (د.م، 1387هـ)
27- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة، 1959م).

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

28- محمود، حسن سليمان: ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب (القاهرة، 1962م)
29- المراكشي، ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثقافة (بيروت، 1983م).
30- المزيني، صالح مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان (بدون مكان، 1987م).
31- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: أتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، ج2، (القاهرة، 1967م).
32- موسي، عز الدين عمر أحمد: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، دار الشروق (بيروت، 1983م).
33- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، مطابع كوستا تسوماس وشركاه (القاهرة، دون تاريخ).
34- يونس، عبد الحميد: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، بدون دار نشر (القاهرة، 1956م)